مجلـــــة الآداب للعلوم الإنســـانيـــة
المجلد السابع العدد الثاني، ديسمبر 2024،
ص ص1- 26
Arts & Humanities Journal
Vol. 7, Issue no. 2, December, 2024,
pp.1-26

Issn (النسخة المطبوعة): 3006 -7561 Issn (النسخة الالكترونية): 3006 -757X

التمثُّلاتُ التداوليَّةُ في البحثِ البلاغيِّ العربيِّ
مبحثُ الاستفهامِ في إيضاحِ القزوينيِّ نموذجاً

الاستاذ الدكتور يحيى صالح المذحجي

استاذ البلاغة والاسلوبية بقسم اللغة العربية– عميد كليةِ الآدابِ بجامعةِ تعز– اليمن.

الدكتور ياسر حسن الصلوي

استاذ علم الاجتماع السياسي المشارك بقسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بكلية الآداب– القائمِ بأعمالِ نائبِ رئيسِ جامعة تعز للشئونِ الأكاديميةِ– اليمن

تاريخ استلام البحث: 9/ 7/ 2024 **تاريخ قبوله للنشر: 1/ 8/ 2024**

التمثُّلاتُ التداوليَّةُ في البحثِ البلاغيِّ العربيِّ
مبحثُ الاستفهامِ في إيضاحِ القزوينيِّ نموذجاً

أ. د. يحيى صالح المذحجي

استاذ البلاغة والاسلوبية بقسم اللغة العربية– عميد كليةِ الآدابِ بجامعةِ تعز – اليمن.

د. ياسر حسن الصلوي

استاذ علم الاجتماع السياسي المشارك بقسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بكلية الآداب– القائم بأعمال نائب رئيس جامعةِ تعز للشئون الأكاديمية بجامعة تعز – اليمن.

ملخص البحث

تحاول هذه الدراسة تقديم قراءة للدرس البلاغي العربي وفق نظرية التمثل الحديثة في حدود المعطى التداولي لهذا الدرس انطلاقا من التساؤل الآتي: هل تمتلك نظرية التمثل القدرة على تقديم قراءة مفيدة للدرس البلاغي مستعينة بالبعد التداولي للعملية التطبيقية؟

وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها باكورة الأعمال العلمية التي تتوسل بنظرية التمثل في دراسة النص العربي، ورغم كونها اختارت نصا علميا في مجال البلاغة العربية إلا أنها خطوة ضرورية لإثبات جدوى هذا المسار في دراسة النص العربي عموما، ثم الانتقال في دراسات لاحقة –إن شاء الله تعالى– إلى متون النصوص الأدبية.

وتهدف هذه الدراسة إجمالا إلى:

1 – ضبط مصطلح التمثل بما يتناسب مع التوظيف الجديد له في الدرس البلاغي، وفق مقتضيات المبادئ التداولية.

2 – بيان التمثلات الحسية الواردة مبحث الاستفهام عند القزويني وتوظيفها في إثراء الدرس البلاغي العربي.

3 – الوقوف على بعض صور التمثل الذهني في مبحث الاستفهام عند القزويني، ودورها في إنتاج الدلالة الأدبية في النص.

وتقتضي طبيعة الدراسة أن تتوزع على تمهيد ومبحثين تسبقها هذه المقدمة على النحو الآتي:

تمهيد: تحدد فيه المنطلقات النظرية للدراسة ويخلص إلى تحديد مفهوم التمثل والتداول.

المبحث الأول: يدرس التمثل الحسي الواقعي (التصوير).

المبحث الثاني: يدرس التمثل الذهني المعنوي (التخييل).

وتوصلت الدراسة إلى نتيجتين محوريتين، نوجزهما دون تفاصيل على النحو الآتي:

أولا: التأصيل لتوظيف نظرية التمثل بطريقة تداولية في دراسة النص البلاغي العربي.

ثانيا: التمثلات المستخلصة من النص المدروس توزعت على محورين: محور التمثلات الحسية. ومحور التمثلات الذهنية.

الكلمات المفتاحية: التمثلات، التداولية، البحث البلاغي، مبحث الاستفهام، إيضاح القزويني.

Pragmatic Representations in Arabic Rhetorical Studies
The Interrogative Chapter in Al-Qazwini's Al-Idah as a Model

Prof. Yahya Saleh Al-Madhehagi
Professor of Rhetoric and Stylistics, Department of Arabic Language – Dean of the Faculty of Arts, Taiz University, Yemen.

Assoc. Prof. Yaser Hasan Al-Selwi
Associate Professor of Political Sociology, Department of Sociology and Social Work, Faculty of Arts– Acting Vice President for Academic Affairs, Taiz University, Yemen

Abstract

This study attempts to provide an analysis of Arabic rhetorical studies through the lens of the modern theory of representation, focusing on the pragmatic aspects of this field. The study is guided by the following question: Does the theory of representation have the ability to provide a useful analysis of rhetorical studies by utilizing the pragmatic dimension of the application process?

The significance of this study lies in its pioneering use of the theory of representation in analyzing Arabic texts. Although it focuses on a scientific text in the field of Arabic rhetoric, it is a necessary step to demonstrate the feasibility of this approach in studying Arabic texts in general. Future studies, God willing, will expand to include literary texts.

The study aims to:

1-Define the term "representation" in a manner consistent with its new application in rhetorical studies, according to pragmatic principles.

2-Illustrate the sensory representations in the interrogation chapter by Al-Qazwini and their use in enriching Arabic rhetorical studies.

3-Identify some forms of mental representation in the interrogation chapter by Al-Qazwini and their role in producing literary meaning in the text.

The study is structured into an introduction and two main sections, preceded by this preface as follows:

- Preface: Outlines the theoretical foundations of the study and defines the concepts of representation and pragmatics.
- First Section: Examines realistic sensory representation (imagery).
-Second Section: Explores mental abstract representation (imagination).

The study reached two main conclusions, summarized as follows:

1-Establishing the foundation for using the theory of representation in a pragmatic manner in studying Arabic rhetorical texts.

2-The representations derived from the studied text are categorized into two main axes: 1-Sensory representations 2-Mental representations

Keywords: Representations, Pragmatics, Rhetorical Studies, The Interrogative Chapter, Al-Idah by Al-Qazwini.

المقدمة

تندرج هذه الدراسة ضمن ما يسمى بالدراسات البينية، وهي الدراسات التي تجمع في متنها أكثر من تخصص واحد، ويحظى مصطلح التمثل بأهمية مركزية في الدراسات الإنسانية عمومًا، والاجتماعية على وجه الخصوص؛ إلا أنه شرع في التمدد باتجاه الدراسات اللغوية والأدبية، ومنها الدراسات البلاغية، التي ينتمي إليها بحثنا هذا.

كما أن البعد التداولي حاضر في جزئياتها، من خلال المستوى الاستعمالي للمادة العلمية المدروسة، في كتاب الإيضاح عمومًا، ومبحث الاستفهام تحديدًا، بوصفها مادة مشاعة ومتداولة في مؤلفات البلاغيين، وخصوصًا السكاكي وشُرَّاحه، ومنهم القزويني.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة تقديم قراءة للدرس البلاغي العربي وفق نظرية التمثل الحديثة في حدود المعطى التداولي لهذا الدرس انطلاقا من التساؤل الآتي:

هل تمتلك نظرية التمثل القدرة على تقديم قراءة مفيدة للدرس البلاغي مستعينة بالبعد التداولي للعملية التطبيقية؟

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها باكورة الأعمال العلمية التي تتوسل بنظرية التمثل في دراسة النص العربي، ورغم كونها اختارت نصا علميا في مجال البلاغة العربية إلا أنها خطوة ضرورية لإثبات جدوى هذا المسار في دراسة النص العربي عموما، ثم الانتقال في دراسات لاحقة –إن شاء الله تعالى– إلى متون النصوص الأدبية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إجمالا إلى:

1. ضبط مصطلح التمثل بما يتناسب مع التوظيف الجديد له في الدرس البلاغي، وفق مقتضيات المبادئ التداولية.

2. بيان التمثلات الحسية الواردة مبحث الاستفهام عند القزويني وتوظيفها في إثراء الدرس البلاغي العربي.
3. الوقوف على بعض صور التمثل الذهني في مبحث الاستفهام عند القزويني، ودورها في إنتاج الدلالة الأدبية في النص.

خطة الدراسة:

تقتضي طبيعة الدراسة أن تتوزع على تمهيد ومبحثين تسبقها هذه المقدمة على النحو الآتي:

- **تمهيد:** تحدد فيه المنطلقات النظرية للدراسة ويخلص إلى تحديد مفهوم التمثل والتداول.
- **المبحث الأول:** يدرس التمثل الحسي الواقعي (التصوير).
- **المبحث الثاني:** يدرس التمثل الذهني المعنوي (التخييل).

تمهيد

ورد في لسان العرب "تمثَّل فلانٌ، ضرب مثلًا، وتمثَّل بالشيء ضرب به مثلًا"[1]، وقال الله تعالى ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ مريم [17]

التمثل الاجتماعي:

على سبيل التعريف الطارئ –قبل الدخول في الموضوع الرئيس للبحث– سنقف على مفهوم التمثل الاجتماعي؛ ليكون توطئة لموضوعنا هذا، الذي يدرس التمثل البلاغي، من خلال أسلوب الاستفهام، عند القزويني في إيضاحه.

ويعرف التمثل الاجتماعي بأنه عملية تكوين صورة ذهنية لشيء ما، أو حدث ما، أو فكرة ما، ويمكن أن يكون التمثل بصريًا، أو سمعيًا، أو حسيًا، أو حتى مجرد فكرة؛ وهو أداة قوية للإدراك، والتفكير، والتواصل، وتخزين المعلومات، واسترجاعها[2].

والتمثل العقلي هو الصورة الذهنية، التي يحدثها العقل للأشياء، التي لا تستطيع الحواس الإحاطة بها[3].

ويعرِّف (Abrik 1994,p.13) التمثل بأنه "إنتاج وسيرورة لعملية عقلية، يقوم من خلالها الفرد، أو الجماعة بتشكيل الواقع، ومنحه مفهومًا جديدًا"[4].

والمقصود بالتمثل الاجتماعي هو (الصورة الذهنية تحديدًا)[5]؛ وهنا يتبين لنا اندماج مصطلحي التمثل والتصور، إلى الحد الذي يصعب فيه الفصل بينهما، بحدود علمية، أو منطقية، تتيح للفرد التعرف على النقاط الفارقة بينهما.

ويرى إسماعيل قيرة أن "التصورات الاجتماعية هي نتاج للعملية الذهنية، التي يقوم بها الفرد والجماعة، من خلال إعادة بناء الواقع"[6]. ومن ذلك نجد ما يقترب من التطابق، بين مفهوم التصور الاجتماعي، ومفهوم التمثل الاجتماعي، باعتبار أن التمثل بأبسط مفاهيمه، هو تكوين صورة؛ لأنه ناتج "عن التطور العملي للصورة العقلية، والوظائف الدلالية"[7].

والتمثل بهذا المفهوم على أربعة أنواع[8]:

- **التمثل البصري:** هو تكوين صورة ذهنية لشخص، أو شيء، أو مكان.
- **التمثل الحسي:** هو تكوين صورة ذهنية لحاسة أخرى، مثل: اللمس، أو الشم، أو التذوق.
- **التمثل السمعي:** هو تكوين صورة ذهنية لصوت، أو موسيقى.
- **التمثل المجرد:** هو تكوين صورة ذهنية لفكرة، أو مفهوم.

والتمثلات/التصورات الاجتماعية طريقة في التفكير، تهدف إلى تفسير واقعنا اليومي، وتوجيه سلوكنا، وتبني استجاباتنا، في المواقف المختلفة، أي: أن التصورات/التمثلات الاجتماعية هي نتاج عملية ذهنية، يعيد من خلالها الفرد، أو الجماعة بناء الواقع، وتشكيل الأفكار عن العالم بشكل من الخصوصية لكل فرد، ...، وبالجملة يمكن اعتبار التمثلات/التصورات الاجتماعية جملة من المعارف والآراء والاتجاهات، التي تصدر عن أفراد المجتمع حول موضوع مّا[9].

والتمثل "يساهم في تكوين التصرفات، وتوجيه التواصل، ويكسب الفرد نظامًا من المعرفة والمعايير والقيم، والعادات والمعتقدات، والأفكار لفرضيات المجتمع والدين"[10].

التمثل التداولي:

تُعَرَّفُ التداولية بأنها "دراسة استعمال اللغة، مقابل دراسة النظام، الذي تعنى به تحديدًا اللسانيات؛ وإذا تحدثنا عن استعمال اللغة؛ فلأن هذا الاستعمال ليس محايدًا، من حيث تأثيراته في عملية التواصل، ولا في النظام اللغوي في حد ذاته"[11].

وتعتبر القضية تداولية "إن كانت لا تتعلق ببنية اللغة، وإنما تتعلق باستعمالها ...؛ لأن مجال التداولية، وإن كان يتعلق –بصفة أساسية– باستعمال اللغة؛ فإنه يرتبط بقضايا ليست لغوية بالمعنى الضيق للكلمة، مثل قضايا الاستدلال، والاستعمال التقريبي، والاستعارات، والفهم المرتبط بالسياق وقوانين الخطاب"[12].

وتعنى التداولية "بالعلاقات بين العلامات ومستعمليها، وبناءً على ذلك كان قصر التداولية –ضمن التيار المنطقي– على ظواهر الإشارة"[13].

والمنهج التداولي هو مستوى تصنيف إجرائي في الدراسات اللغوية يتجاوز دراسة المستوى الدلالي، ويبحث عن علاقة العلامات اللغوية بمؤوليها، مما يبرز أهمية دراسة اللغة عند استعمالها، ومن ثم فإنه يعنى بدراسة مقاصد المتكلم؛ وكيف يستطيع المرسل أن يبلغها في مستوى يتجاوز مستوى دلالة المقولة الحرفية، كما يعنى المنهج التداولي بكيفية توظيف المرسل للمستويات اللغوية المختلفة في سياق معين، حتى يجعل انجازه ملائما لذلك السياق"[14].

وذلك بربط انجازه اللغوي بعناصر السياق الذي حدث فيه، فمنها ما هو ذاتي مثل مقاصد المتكلم ومعتقداته، وكذلك اهتماماته ورغباته، ومنها أيضا المكونات الموضوعية؛ أي الوقائع الخارجية، مثل زمن القول ومكانه، وكذلك العلاقة بين طرفي الخطاب. وتساهم هذه العناصر في تحديد الدلالة عند المتلقي، إذ يعتمد عليها في تأويل الخطاب في سياق معين، كما يعين على معرفة اثر السياق في لغة الخطاب عند إنتاجه"[15].

ومن ثم فإن التداولية تعنى بدراسة "استعمال اللغة في الخطاب"[16]، أي: استعمال اللغة في مستوياتها المقامية المختلفة.

فمهمة التداولية "أن تقدم تأويلًا تامًا للجملة، التي كانت موضوع إلقاء أيِّ قول، وحين نتحدث عن التأويل، فإننا نحيل على العملية، التي تسند إلى قولٍ ما قيمة معينة، وهي القيمة، التي تم تبليغها"[17].

ومن مهام التداولية، أن تفسر سؤالنا: "كيف يمكن للسامع أن يتوصل إلى فهم قول مّا بطريقة غير حرفية؟ ولِمَ اختار المتكلم صيغة في التعبير غير حرفية، بدل صيغة حرفية؟ وبعبارة أخرى، فإن مهمة التداولية، أن تصف –بواسطة مبادئ غير لسانية– عمليات الاستدلال الضرورية للوصول إلى المعنى، الذي يبلغه القول"[18].

والتداولية "سواء أكانت مدمجة في اللسانيات، أم لا، معنيةٌ –عن كثب– بالمسائل، التي تتناولها اختصاصات مجاورة للسانيات، من قبيل اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية، وإن كانت مرتبطة بتقاليد علمية ومنهجية مختلفة"[19].

التمثل البلاغي:

يكاد مصطلح التمثل يتمنَّع عن الظهور، في دراساتنا البلاغية والنقدية القديمة، إذا استثنينا مماثلته، أو مقاربته لمصطلح التخييل عند حازم القرطاجني، حين عرّفه في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) بقوله: "والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيِّل، أو معانيه، أو أسلوبه، أو نظامه، وتقوم في خياله صورة، أو صور، ينفعل لتخيلها، وتصورها، أو تصور شيء آخر بها انفعالًا من غير رويّة إلى جهة من الانبساط، أو الانقباض"[20].

والفرق بين التصوير، وبين التخييل هو أن التصوير يشمل كل ما له صورة، أو نموذج في الطبيعة، بينما التخييل ينحصر في قيام الصورة في الذهن، بمعزل عن قيامها في الطبيعة من عدمه، وكلاهما –(أي: التصوير والتخييل)– يتشكلان بقيام الصورة في

الذهن، سواء كانت هذه الصورة منعكسة عن نموذج خارجي، أو قائمة على مثال ذهني، أما التمثل فيشمل النوعين معًا: التمثل الحسي الواقعي/التصوير، والتمثل الذهني المعنوي/التخييل، وهو ما تتبناه البلاغة، "في كونها علم الخطاب الاحتمالي بنوعيه التخييلي والتداولي"[21]، رغم تحويل المركز أحيانًا "من التخييل إلى التداول خاصة"[22]، بسبب انتقال "الجرجاني من الغرابة الشعرية (أي من التخييل)، إلى المناسبة المقامية، أو السياقية (أي إلى التداولية اللسانية)"[23]

وقد أنجزت (آن ريبول– Anne Reboul) أطروحة دكتوراة سنة 1984م، "موضوعها الحوار المسرحي ضمن وجهة بحث سردية تداولية، وقد اهتمت اهتمامًا متواصلًا بقضية التخييل، من خلال قضايا الأسلوب غير المباشر، والتمثيلات المستحيلة، أو الاستعارة (ريبول 1992)، وقد عكفت من سنة 1984م، إلى سنة 1990م على صياغة نظرية تداولية للتخييل والاستعارة، في إطار نظرية المناسبة"[24]

التمثل الاستفهامي:

المحور التطبيقي لهذا البحث يبحث في تمثلات الجملة الاستفهامية في كتاب الإيضاح للقزويني، ولسنا هنا بصدد إعادة المعاد وتكرار المكرر؛ لكن تقسيم أدوات الاستفهام إلى طائفتين: إحداهما تفيد التصور، والأخرى تفيد التصديق، يعنينا بصفة خاصة[25]، في التمييز بين الاستفهامات، ويمكننا أن نجيب عن الاستفهامات التي تفيد التصديق بـ(نعم)، أو (لا)، أما الاستفهامات التي تتطلب تصورًا، فينبغي "أن يجيب قيها المخاطب عن مسألة معينة، ونلاحظ أن هذا التمييز يمكن إقامته أيضًا على أساس الإسناد؛ ففي الاستفهامات التي تتطلب تصديقًا يكون المسند نفسه مستفهمًا عنه، وموضوع الشك، وفي الاستفهامات، التي تتطلب تصورًا، لا يكون المسند مستفهمًا عنه، وليس محل شك"[26]

لنأخذ المثالين: (أجاء زيدٌ؟)، و(من جاء؟).

في المثال الأول يستفهم المتكلم لدى المخاطب عن صدق المسند (جاء)، أو كذبه،

وفي المثال الثاني، ليس المسند محل شك، وإنما يستفهم المتكلم لدى المخاطب عن هوية القادم/ المسند إليه[27].

ويوجد هذا التمييز (الإسنادي)، "بين الاستفهامات، التي تتطلب تصديقًا، والاستفهامات، التي تتطلب تصورًا، في شكل الجمل المستعملة نفسها؛ فالجمل الاستفهامية، التي تتطلب تصديقًا، لا تشير إلى ذلك إلا بتغيير ترتيب الكلمات، أو بتصديرها بحرف الاستفهام؛ أما الجمل الاستفهامية، التي تتطلب تصورًا، فإن اسم الاستفهام (من، ما، ماذا، كيف ...الخ)، هو الذي يشير إلى النقطة المعينة، التي يستفهم عنها المتكلم، لدى المخاطب"[28].

وتخضع تمثلات الدرس البلاغي للبعد التداولي خضوعًا واضحًا، خصوصًا تلك التي تضمنها باب الاستفهام في إيضاح القزويني، الذي حضرت في حدوده تلك التمثلات الاستفهامية على المستويين: التأصيلي عند السكاكي، والتأويلي عند القزويني.

فالتمثلات الاستفهامية تخضع للعمليات الذهنية، التي تقوم بترتيب عملية التصنيف والفرز لتلك التمثلات، وتبنّي إصدار الاستجابة المطلوبة تجاهها.

نخلص من هذا التمهيد إلى أن:

1- التمثل هو: التصور السابق، أو المعلومات الأولية، أو الأمثلة والنماذج، والصور الذهنية، أو الجسمانية، المتخيلة والمستنبطة عقليا عن موضوع أو قضية، بالافتراض، أو بالمعاينة من اللفظ المفرد، أو من تركيباته اللغوية، أو دلالاته الإيحائية، وذلك باستحضاره أمام العين، أو الذهن، سواء كانت مرجعيتها مجازية، أم حقيقية؛ فإن كانت حقيقية، تكون تمثلاتها حسية تصويرية، وإن كانت مجازية، تكون تمثلاتها ذهنية تخييلية.

2- التداولية، سواء أكانت مدمجة في اللسانيات، أم لا، معنيةٌ بتقديم تأويل تام للجملة، التي تم تبليغها، كما هي معنية بالمسائل، التي تتناولها اختصاصات مجاورة للسانيات، من قبيل اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية، وإن كانت مرتبطة بتقاليد علمية ومنهجية مختلفة.

المبحث الأول: التمثل الحسي الواقعي (التصوير)

نعني بالتمثل الحسي: تلك المشاهد الملتقطة لعناصر مصورة حسيًا، أي تندرج بنفسها، أو بأمثالها ضمن المدركات البصرية للإنسان، حتى لو كانت أمثالًا غير حقيقية لتلك المدركات، ومن ذلك تمثل المؤلف النحوي لشخص ضارب، اختار له المؤلف اسم (زيد)، وشخص مضروب، حدد له اسم (عمرو)، وهكذا في سائر النماذج.

ففي قولنا: "**أأنت ضربت زيدًا؟**"[29]، يدور الشك حول هوية الفاعل لعملية الضرب؛ لأن فعل الضرب حاصل، أما في حالة الشك بهوية المفعول، فنعبر عنه بقولنا: **(أزيدًا ضربت؟)**؛ والأمر ذاته حين يحدثك شخص عن مسمى (زيد)، وأنت لم تعرف هويته، فتجيبه: **(مَن زيد؟)**[30]، إذا كان هناك أكثر من شخص مسمى بهذا الاسم، أثناء نطق السؤال، ولكل شخص صورته، التي استقرت في ذهن السامع، قبل وصوله إلى التحديد الدقيق للشخص المقصود، بذكر إحدى صفاته، التي تميزه عن بقية المشتركين معه في التسمية، الذين تتبادر صورهم إلى ذهن السائل، فور نطق الاسم.

وفي قوله تعالى: ﴿أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣﴾ مريم [73]، السؤال على لسان سادة قريش، الذين يمكن تمثلهم –ذهنيًا– في حال تكملة بناء السؤال، وكأنهم يقولون: "أنحن أم أصحاب محمد عليه السلام"[31].

أما تمثلهم لأنفسهم، فيرون فيها الخيرية على صحابته رضوان الله عليهم، وتمثل الخيرية هنا ليس إلا على سبيل الزعم الواهم، الوارد على صيغة تساؤل يتظاهر بالحيادية الكاذبة.

أما في قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾النمل [38]، أي: الأنسي، أم الجني؟[32]، فالخطاب من قبل سيدنا سليمان عليه السلام موجه إلى اثنين من المخاطبين، أحدهما: جني، والآخر إنسي، يتنافسان على مهمة إيصال عرش الملكة بلقيس إلى حضرة سيدنا سليمان عليه السلام، قبل وصولها إليه؛ فعملية الإحضار –هنا– كانت تمثلًا حسيا، ينطلق من معرفتهم المسبقة بعرشها، وإمكانية إحضاره بأقصى سرعة؛ قال تعالى على لسان الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ النمل [23].

قال القزويني: "وأما (أين) فللسؤال عن المكان، إذا قيل: أين زيد؟ فجوابه: في الدار، أو في المسجد، أو في السوق، أو نحو ذلك"[33]، فنجد هنا انحسار تمثلات الـ(أين) في المكان فقط، ومهما اتسع ذلك المكان، فإن احتمالات الجواب لا تغادره البتة إلى أي حيز آخر، فالدار، والمسجد، والسوق، كلها أماكن رغم اختلاف تمثلاتها البصرية.

في قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ الأنبياء [62]، نجد أنه مع احتمال احتفاظ الهمزة بمعناها الاستفهامي؛ لجهلهم الافتراضي بفاعل التكسير، إلا أن السامع يتمثل الحدث، من خلال تخيل صورة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهو يمسك الفأس، ويقوم بتحطيم تلك الأصنام؛ ليثبت للملأ، أن معبوداتهم تلك عاجزة عن دفع الضرر عن نفسها، فكيف بدفعه عنهم؟[34].

ومن معاني الاستفهام "الإنكار: إما للتوبيخ، بمعنى: ما كان ينبغي أن يكون، نحو: أعصيت ربك؟"[35]، ففي هذه الحالة، نتصور متكلمًا غاضبًا، أو مرتبكًا، يوجه خطابه إلى مستمع، يتمثله المتكلم الغاضب واقفًا أمامه، متمثلًا حالة العصيان لدى المخاطب، وتمثلنا لحالة الغضب ناتج عن إنكار المتكلم لفعل العصيان.

وقد يكون غرض الاستفهام الإنكار للتكذيب بمعنى: لم يكن[36]، كقوله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ﴾ الإسراء [40]، والتكذيب –هنا– مبني على مسلّمة معرفية معروفة لدى المؤمنين، بحتمية تصديقهم، بكل ما جاء به كتاب الله تعالى من وصف للكفار؛ وتمثلنا لحالة الرفض –تلك– يولّد لدينا ردة الفعل المباشرة برفض ذلك الزعم.

ومن ذلك أيضًا دفع بعض المزاعم الأخرى، التي منها، مانجده في قوله تعالى: ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ الأنعام [40].

وقوله جل ثناؤه: ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ الأنعام [14]، فإنكار دعاء غير الله، واتخاذه وليّا من دونه تعالى ناجم عن التمثل، الذي يرفضه عقل المؤمن بذلك الدعاء، أو التولي؛ فعندما تؤمن بصحة قولك لصديقك: (ما لي سواك)، فأنت تتمثل به شريكًا لله تعالى في تولي أمرك، وهذه المسألة مما لا يجوز قيامه، ولا استحضاره، ولا تمثله، في ذهن المؤمن البتة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾ الزخرف [31]، أي: ليسوا المتخيرين للنبوّة[37].

في هذه الآية الكريمة نناقش زعم الكفار أن عظمة الرجلين ترشحهما دون غيرهما للرسالة وفق تمثلهم المشوه لاشتراطات النبوة، بمقابل تمثلهم لحالة ضعف النبي (ﷺ)؛ وتمثل تلك العظمة في أذهانهم ربط بين الرجلين، وبين النبوة، وفق مقاييس الاستحقاق لديهم؛ فكان ازدراؤهم لنبوته (ﷺ) نابعا من هذا التمثل، الذي قام في أذهانهم، من خلال تمثل كفاية العظمة الدنيوية للنهوض بمهمة الرسالة السماوية.

قال تعالى: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ ﴾ الزخرف [32]، نجد الفعل (يقسِمون)، ينقل الرحمة من الحالة الذهنية المجردة، إلى الحالة المحسوسة، القابلة للتقسيم بين الناس، عبر القياس الكمي المعروف لديهم، والتساؤل القرآني –هنا– يهدف إلى بيان أنهم ليسوا "المتولين لقسمة رحمة الله تعالى، التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته، وبالغ حكمته"[38].

ومن ذلك دلالة الاستفهام على الإنكار[39]، التي نتمثلها في محاولة إكراه الناس على الإيمان، في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩ ﴾ يونس [99]، ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ ﴾ الزخرف [40]، حيث قام التمثل –هنا– على مفارقة سمعية وبصرية؛ إذ كيف تفرض السمع على الأصم؟ والهداية على الأعمى؟

وليس الهدف من هذه التمثلات سوى الوصول إلى النتيجة المنطقية، الرافضة لتلقي أصحاب هذه العيوب ما يريده المخاطب؛ فكيف بتقبله؛ وقد نجح هذا التمثل في نقل الصورة إلينا بوضوح.

قال القزويني: "لا يقال قد يلي الهمزة غير المنكر في غير ما ذكرتم، كما في قول امرئ القيس: **أيقتلني والمشرفي مضاجعي؟**"[40]، وقال إن المعنى عند السكاكي: "ليس بالذي يجيء منه أن يقتل مثلي"[41]، حيث تمثل السكاكي ضعف المتحدث عنه/خصم الشاعر، داعمًا تمثله ذلك بقول الشاعر: **(والمرء ليس بقتّالِ)**، ومتمثلًا –بالمقابل– قوة الشاعر من قوله: **(والمشرفيُّ مُضاجعي)**، بوصفها مانعًا لفعل القتل، لا لتمثله.

في حين ذهب القزويني إلى أنه "ليس ذلك معناه؛ لأنه قال: والمشرفي مضاجعي، فذكر ما يكون منعًا من الفعل، والمنع إنما يحتاج إليه مع من يتصور صدور الفعل منه، دون من يكون في نفسه عاجزًا عنه"[42]، فتمثل عجز الخصم وضعفه بقوله: (والمرء ليس بقتّالِ)، في حين تمثل قوة الشاعر بقوله: (والمشرفي مضاجعي).

فعلى تأويل السكاكي، لا نستطيع الإقرار بفعل القتل؛ لكنا نستطيع تمثله؛ أما على تأويل القزويني، فلا نستطيع الإقرار به، ولا حتى تمثله. قال تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ البقرة [28]، فالكفر الحاصل في حالة الجهل مبرر، أما المترافق مع العلم، فلا يوجد له مبرر؛ هذا على مستوى الكفر الحاصل بلحظة العلم فكيف بالكفر المترافق مع العلم بكل التحولات، التي يمر بها الإنسان طول حياته، ونهوض كل تحول من تلك التحولات بتمثل قائم بذاته؛ ومن ذلك تمثل عملية الإحياء، والخلق من العدم/(الإيجاد)، ثم تمثل الإماتة بعد الحياة، ثم البعث بعد الموت، وهو الرجوع الأخير إلى الله تعالى، فكل هذه التمثلات، هي نقاط تحول في البناء القرآني، لحياة الإنسان وموته المتعاقبين، والمتناوبين، ومع كل تحول من تلك التحولات، تتولد في أذهاننا تمثلات جديدة.

نستنتج مما سبق أن التمثلات الحسية في هذا المبحث، توزعت على النحو الآتي:

1- تمثلات الأحداث التي ينتج عنها أثر محسوس: كالضرب، والقتل، والاصطفاء، وتحولات الحياة، وتكسير الأصنام، وتقسيم الأرزاق، والقوة، والضعف، والهداية، والإكراه، والإسماع، ... وغيرها.

2- تمثل الخيرية، والأفضلية بين عناصر محسوسة، كالفريقين، والرجلين، والدارين، والإلهين (إله الحق وآلهة الباطل)، وغير ذلك.

3- تمثلات الحوار بين سيدنا إبراهيم وقومه، وبين سيدنا سليمان والحيوانات، وبين سيدنا سليمان والملكة بلقيس.

المبحث الثاني: التمثل الذهني المعنوي (التخييل)

في مقابل التمثل الحسي، الذي تناولنا فيه تمثلات تصوير العناصر الحسية في الذهن، في المبحث السابق، ننتقل في هذا المبحث لبيان **التمثلات الذهنية**، التي تقوم على تخييل العناصر غير الحسية في الكلام، ومن ذلك ما يأتي:

قال القزويني: "فالهمزة لطلب التصديق، كقولك: (أقام زيد؟)، و(أزيد قائم؟)، أو التصور، كقولك: (أدبسٌ في الإناء أم عسلٌ؟)"[43].

فالمؤلف حين يقول: **(كقولك)**، يتمثل مخاطبًا ذهنيًا، وذلك المخاطب الذهني هو الناطق بعبارة: **(أقام زيد؟)**، موجهًا الخطاب فيها إلى مخاطب آخر، ينتظر منه الجواب، وكذلك في قولنا: **(أزيد قائم؟)**، تنهض تمثلات أخرى، مشابهة لهذه التمثلات، ففضلًا عن تمثل قيام زيد، نتمثل مسئولًا ننتظر منه الجواب عن ذلك القيام، **ولذلك فإن زيدًا والمسئول يقتصر وجودهما على الحيز الذهني لناطق العبارة، دون الحيز الطبيعي الجسماني.**

وكذلك في عبارة **(أدبسٌ في الإناء أم عسلٌ؟)**، نجد أن المؤلف يتمثل في ذهنه سائلًا يسأل مسئولًا ذهنيًا أيضًا، فضلًا عن كون الجملة بنيت عبر تمثل ذهني، استحضر مفردات (الإناء، والدبس، والعسل) من خارج الوجود الملموس؛ وهكذا في بقية الأمثلة والنماذج، التي ساقها المؤلف في عموم كتابه، خصوصًا في تلك العبارات، التي تتضمن فعل القول، مثل: **(فنقول)، أو (قولنا)، أو (تقول)، أو (كقولك)، أو (كقولنا)، أو غير ذلك.**

أما في مثل قولنا: "**أضربت زيدًا؟**"[44]، فإن المخيال الذهني فيه يشتغل على عملية الضرب، متمثلًا حادثة الضرب، وشخص الضارب، وشخص المضروب، حتى في حالة الغياب الكلي لملامحهما الشكلية المميزة، فضلًا عن شخص السائل الغائبة ملامحه عن ذهن المتكلم والسامع معًا، ليس عن العين فحسب، بل وحتى عن الذهن أيضًا؛ فكل هذه الشخوص يتم تمثلها، دون وجود أصول حقيقية لمرجعياتها، ولا حتى للحادثة نفسها.

أما في تفاصيل التشريح الدلالي لبنية السؤال: (أضربت زيدًا؟)، فنلمح منها شك

المتكلم/السائل في حدوث، أو عدم حدوث الضرب ذاته، وأراد الحصول على جواب شاف يقطع به ذلك الشك.

وكذلك في قولنا: "**هل قام زيدٌ؟**"[45]، ينصب اهتمامنا على حالة القيام، لا على غيرها من الحالات؛ ولذلك لا نقول: (أم جلس)، لأنَّا لا نتمثل أمام أعيننا حالة جلوسه، أو رقوده؛ إلا إذا انتفت عملية القيام.

أما في قولنا: "**هل تضرب زيدًا، وهو أخوك؟**"[46]، فبغض النظر عن الوظيفة التصديقية للعبارة، وما يؤخذ عليها من خطأ على مستوى القاعدة التركيبية/النحوية [47]؛ إلا أنَّا نتمثل الوظيفة التخييلية الذهنية، بتوجيه عناية البحث نحو مشهد الضرب، الذي جاء به المؤلف بتمثله مخاطِبًا متخيلًا **(نا)** الدالة على المتكلمين، وذلك في عبارة: **(أمَّا في قولنا)**، موجِّهًا خطابه في هذه الجملة إلى مخاطَب متخيل، في قوله: **(هل تضرب زيدًا)**، وقوله: **(وهو أخوك)**، وتمثل ذلك المخاطب الآخر، يؤدي ضرورةً إلى تسلسل حواري افتراضي معقد.

ومن ذلك ما نقله القزويني عن السكاكي بقوله: "يُسأل بـ(ما) عن الجنس، تقول: ما عندك؟ أي: أيُّ أجناس الأشياء عندك؟ وجوابه: إنسان، أو فرس، أو نحو ذلك"[48]، فنلاحظ –هنا– تعدد أجناس المسئول عنه، وإبدالاته، رغم تباعدها، وعدم اجتماعها في وصف أو اصل؛ ما يعني انفتاح المخيال الذهني على تمثلات شتى، قد تملأ كثيرًا من الحوافظ الذهنية، بخلاف انحصار الجواب المطلوب للسؤال المطروح: (ما الكلمة؟)، ومثله: (ما الكلام؟).

ومهما تعددت أشكال السؤال المعرفي، سيظل الجواب محتمِلًا تمثلات السائل والمسئول معًا، بوصفهما طرفي حوار، يحملان إلينا المحصول العلمي المبتغى من هذه التمثلات.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ الحجر [57]، أي: "**أيُّ أجناس الخطوب خطبكم؟**"[49]، يتمثل السائل –والسامع أيضًا، وكذلك القارئ، في أذهانهم– خطوبًا شتى، باحثين عن استقرار الجواب في أذهانهم، بالكيفية التي استقر بها في أذهان المخاطبين/المسئولين عن ماهية الخطب، ودوافعه وحدوده.

أما سؤال فرعون لسيدنا موسى، الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الشعراء [23]، فهو "عن الجنس؛ لاعتقاده –جهلًا بالله تعالى– ألَّا موجودَ مستقلًا بنفسه، سوى الأجسام ... "[50]، حيث نجد أن هذا الاعتقاد مبني على الجهل لا على العلم، يريد به فرعون من سيدنا موسى (عليه السلام) تمثيل هيئة الله تعالى بالتوهم؛ ولذا طرح السؤال التعجبي الاستنكاري على السحرة، بقوله: **(ألا تسمعون؟)** كي يمهد –بحثِّهم على السؤال– لإطلاق تهمة الجنون، التي أراد من السحرة تزكية رأيه حولها، واستقرار وصف سيدنا موسى بها، بموجب تمثله الواهم [51].

وحين وجه فرعون سؤاله إلى سيدنا موسى في قول الله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ طه [49]، كان يستعرض في ذهنه تمثلات عديدة لله تعالى، رغم إنكاره لوجوده –أصلًا– إلا أن التمثلات كانت تتزاحم في ذهنه: أملك هو؟ أم بشر؟ أم جني؟ ... الخ.

أما إنكاره لفكرة وجود الله تعالى أصلًا، فكان من أجل تعزيز دعوى الربوبية لنفسه، ذاهبًا في سؤاله هذا إلى معنى: ألكما رب سواي؟ فأجابه سيدنا موسى عليه السلام، بقوله: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾طه [50]، وكأنه قال: "نعم لنا رب سواك، هو الصانع، الذي إذا سلكت الطريق، الذي بيّن بإيجاده لما أوجد، وتقديره إياه على ما قدّره، واتبعت فيه الطريق الظاهر، وهو العقل الهادي عن الضلال، لزمك الاعتراف بكونه ربًا، وألّا رب سواه، وأن العبادة مني، ومنك، ومن الخلق أجمع، حقٌ لا مدفع له"[52].

نلاحظ في النص –أعلاه– أنه تضمن جملة من التمثلات الذهنية، ومنها تمثل طريق الهداية، وهو العقل، على رأي السكاكي؛ لكن القزويني لا يؤيده في ذلك، بل يذهب إلى أن (من) للسؤال عن العارض المشخص لذي العلم؛ لأنه إذا قيل: مَن (فلان)[53]؟ يجاب بـ(زيد)، ونحوه مما يفيد التشخيص، مصرحًا بعدم التسليم بصحة ما ذهب إليه السكاكي، من الجواب بنحو (بشرٌ)، أو (جنِّيٌ)، ولا يخفى ما بين التأويلين من فروق واضحة، على مستوى التمثل الذهني للجواب في الحالتين.

فعلى تأويل السكاكي، نتمثل المعبود –في سؤال فرعون– ضمن الإبدالات الذهنية

المتاحة، من ملك، أو بشر، أو جن، أو غيره؛ أما على تأويل القزويني، فالتمثل ينحصر في البشرية، دون غيرها، حيث تدور خيارات التمثل في إطار الجنس البشري.

عندما نطرح السؤال: "**كيف زيد؟** فجوابه: صحيح، أو سقيم، أو مشغول، أو فارغ، ونحو ذلك"[54]، وإذا تجاوزنا تمثلنا لشخص زيد –سواءً أكان حقيقةً، أم خيالًا– وتحولنا عنه إلى البحث عن إحالات الأداة (كيف) نجد أنها إحالات مفتوحة على سياقات استفهامية متعددة، قد تكون صحية، أو اجتماعية، أو مهنية، أو دراسية، أو تربوية، أو غيرها، مما يمكن تمثله لتلك الكيفية، وكل مجال من هذه المجالات يحيلنا إلى تمثل ذهني خاص به.

في قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾البقرة [223]، يتمثل السامع لكلمة(**أنّى**) كيفيات متعدد ومختلفة للمعاشرة الزوجية، وهذه الكيفيات لا تتجاوز الفعاليات الذهنية البحتة، خصوصًا إذا كانت عملية التمثل تلك صادرة عن الأعزب، الذي ستنحصر كل تمثلاته في الجانب التخييلي البحت.

أما أداة الاستفهام (**أيّان**)، فيسأل بها عن الزمن[55]؛ إلا أن التمثلات المنبثقة عنها، على مستوى التعبير القرآني، لا تغادر دلالة التفخيم، الناجمة عن ارتباط هذه الأداة بيوم القيامة، وما ترافق تمثلاته من أهوال، تولدها التساؤلات الواردة في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦﴾ القيامة [6]، وقوله جلّ ثناؤه: ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢﴾ الذاريات [12]، بخلاف استعمالنا للأداة (**متى**)، في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ البقرة [214]، حيث أورد السكاكي في مفتاحه، والقزويني في إيضاحه هذه الآية شاهدًا على حالة **الاستبطاء**[56]، وهي طول الانتظار، حين يتخلله التململ، الذي كاد أن يعصف بالحالة النفسية للرسول (ﷺ)، ولأصحابه يوم الخندق، وهو تمثل نفسي بحت، لا علاقة له بأي نمط من أنماط التصور، المستجمع من صور الواقع.

ومن التمثلات الواردة في باب الاستفهام، من كتاب الإيضاح للقزويني، تمثل حالة التعجب من قبل سيدنا سليمان، عليه السلام، الواردة في قول الله تعالى: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾ النمل [20]، والمعروض في الآية الكريمة على صيغة السؤال (**ما لي؟**).

ومثل ذلك تمثلنا لحالة الوعيد الغاضب، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ المرسلات [16]، ومنه أيضًا الحث على الإسلام في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ هود [14]، بمعنى **(إسلِموا)**، فجاء الأمر على صيغة الاستفهام، التي نتمثل من خلالها أمر المولى تعالى لنا بالإسلام، خروجًا بالصيغة عن إطارها الاستفهامي إلى دائرة الأوامر الإلهية.

ومن معاني الاستفهام التي نتمثلها في توجيه السؤال داخل النص القرآني معنى التقرير، ومنه ما ورد في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ الأنبياء [62]، فصيغة السؤال، وعلمهم بالفعل، من خلال إشارتهم إليه، بقولهم: **(هذا)**، يحتمان علينا تجاوز المعنى الأول للسؤال، وهو الاستفهام، إلى معنى آخر، نتمثله من هذه المعطيات، وهو التقرير، وهذا الأمر يسري على بقية أدوات الاستفهام، التي تتجاوز معانيها الرئيسية، التي وضعت لها أصلًا، إلى المعاني الثواني، التي يدل عليها سياق الكلام.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ الزخرف [32]، أي: ليسوا "المتولين لقسمة رحمة الله، التي لا يتولاها إلا هو، بباهر قدرته، وبالغ حكمته"[57]، فحين يتمثلون أنفسهم بأنهم يقسِّمون رحمة الله تعالى، إنما ينتابهم تمثل وهمي، في مخيلتهم، دون أن يرتبط ذلك التوهم بشيء من الواقع.

ومن ذلك تمثل الكفار لصلاة النبي محمد (ﷺ) بآمر يصدر توجيهاته لهم (عن طريقه صلوات ربي وسلامه عليه)، على سبيل **التمثل التهكمي**[58]، ونجد مثل ذلك – أيضًا– في قوله تعالى: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾هود [87].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ﴾ الدخان [30، 31]، على قراءة **(مَن** فرعون)، بفتح ميم **(مَن)**، نجد استفهامًا أُريد به التهويل، بعد أن صُوِّرَ عذابه بأنه مهين لمن يقع عليه، **فكأنه قال:** (أتعرفون من هو فرعون؟ في فرط عتوّه، وتجبُّره، فما ظنكم بعذاب يصدر عن مثله ؟)[59].

ثم عرّف الله حال فرعون وجبروته بقوله تعالى:﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ الدخان [31]، فالحديث عن فضاعة العذاب، يذهب بالذهن مذاهب شتى، في تمثل كل ما من شأنه، أن يشكل صورة من صور الإهانة، أو نتيجة من نتائجها، وكذلك تمثل علوِّه وإسرافه في التنكيل بخصومه، بشتى أنواع التمثلات، التي يحتملها التعبير، ويتسع لها الذهن.

نخلص من دراستنا للتمثلات الذهنية في هذا المبحث إلى جملة من صور التمثل الذهني منها ما يأتي:

1- تمثلُ المؤلفِ مخاطَبًا متخَيلا، وشخوصًا ينتمون إلى متخيلات الذهن، دون أي ارتباط تعبيري، أو تصويري بالواقع، ومن ذلك تمثلات القول، التي تزخر بها مؤلفاتنا البلاغية.

2- محاولة فرعون تمثل الهيئة الإلهية أوقعته في حفرة العناد والإحباط، في حين عززت درجة الثبات والإيمان لدى سيدنا موسى عليه السلام.

3- التمثلات الاستفهامية للأداة (كيف) تنفتح على خيارات متعددة، في حين تنحصر مع الأداة (أيّان) على تمثل أهوال القيامة، وتنتج دلالة الاستبطاء مع الأداة (متى).

4- تمثلات الكفار، ومنهم فرعون، تنزع نحو التخييلات الوهمية، وتبتعد عن الواقع.

الخاتمة

نخلص من هذا البحث إلى الآتي:

1 -يمكن توظيف نظرية التمثل الوافدة من الحقل الاجتماعي وفق أبعادها التداولية في قراءة النص البلاغي العربي.

2 -توزعت التمثلات المستخلصة من النموذج البلاغي للاستفهام عند القزويني على نوعين من التمثلات:

أولا: التمثلات الحسية، ومنها:

أ- تمثلات الأحداث: كالضرب والقتل وتكسير الأصنام، وغيرها مما ورد في النموذج المدروس.

ب- تمثل الخيرية بين عنصرين: كالفريقين والرجلين والدارين والإلهين (إله الحق وإله الباطل)، وغير ذلك.

ت- تمثلات الحوار بين بين الأنبياء وبين أقوامهم، وكذلك حواراتهم مع الحيوانات، وغيرها.

ثانيا: التمثلات الذهنية، ومنها:

أ- تمثلات القول بين المؤلف وبين من يتمثلهم من شخوص في حواراته ونماذجه العلمية، خصوصا في تمثلات القول التي يزخر بها النموذج المدروس من إيضاح القزويني.

ب- تتحرك دلالة التمثل الاستفهامي في النموذج الذي شكل عينة/ نص الدراسة بين الانفتاح خصوصا مع الأداة (كيف)، وبين الانحسار، كما هو الحال مع الأداة (إيان)، وبين الاستبطاء الذي نجده في الأداة (متى).

ت- محاولة تمثل الهيئة الإلهية ثبتت إيمان سيدنا موسى ورسخت يقينه، في حين زرعت العناد والإحباط والوهم لدى فرعون.

المصادر والمراجع

أولًا : القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر:

- الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، تأليف الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، المتوفى سنة 739هـ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 2002م.
- لسان العرب، لابن منظور، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، مادة (مثل).
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، (ت:684هـ)، بتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت:1986م.

ثالثًا: المراجع:

- اليلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، د. محمد العمري، مكتبة الأدب المغربي، أفريقيا الشرق، ط 3، 2012م.
- البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، تأليف علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف، (د.ت).
- التصورات الاجتماعية: مقاربة نظرية، بطواف جميلة، وخلوفي محمد، مجلة الحوار المتوسطي، مج13، ع1، مارس 2022م.
- التصورات الاجتماعية: مقاربة نظرية، أ. بن شوقي بشرى، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي، عدد24، ديسمبر 2017م.
- التمثلات الاجتماعية: مقاربة لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات، وفهم آليات الهوية للدكتورة كوثر السويسي، المجلة العربية لعلم النفس، مجلة علمية محكمة، مج1،ع1، صيف 2016م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للسيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق . د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين في الجامعات التونسية، بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة خالد ميلاد، دار سيناترا، منشورات المركز الوطني للترجمة، تونس 2010م، سلسلة اللسان.

- الوظائف النسقية للتصورات الاجتماعية، هادف رانيا، وبن شوقي بشرى، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، مج4، ع3، سبتمبر 2021م.
- النظرية التداولية: المفهوم والتصور، د. رضوان الرقبي، المغرب، موقع أقلام فكرية، صحيفة المثقف الإلكترونية، تاريخ 12 يونيو 2015م.
- فرانسواز، أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، الرباط، مركز الإنماء القومي، 1986م،

رابعًا: المواقع الإلكترونية:

- Arwordshob.com – Ahmed Mustafa
- wiki <https:llar.m.wikipedia.org>

الهوامش:

1) لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، مادة (مثل)

2) Arwordshob.com – Ahmed Mustafa

3) wiki <https:llar.m.wikipedia.org>

4) نقلا عن التصورات الاجتماعية: مقاربة نظرية، بطواف جميلة، وخلوفي محمد، مجلة الحوار المتوسطي، مج13، ع1، مارس 2022م، ص383.

5) التمثلات الاجتماعية: مقاربة لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات، وفهم آليات الهوية للدكتورة كوثر السويسي، المجلة العربية لعلم النفس، مجلة علمية محكمة، مج1،ع1، صيف 2016م، ص 50.

6) نقلا عن (الوظائف النسقية للتصورات الاجتماعية)، هادف رانيا، وبن شوقي بشرى، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، مج4، ع3، سبتمبر 2021م، عدد تسلسلي12، ص49.

7) التصورات الاجتماعية، مقاربة نظرية، بطواف جميلة، وخلوفي محمد، مرجع سابق، ص 388.

8) Arwordshob.com – Ahmed Mustafa مرجع سابق.

9) التصورات الاجتماعية: مقاربة نظرية، أ. بن شوقي بشرى، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي، عدد24، ديسمبر 2017م، ص56– 57.

10) التصورات الاجتماعية: مقاربة نظرية، بطواف جميلة، وخلوفي محمد، مرجع سابق، ص388.

11) القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين في الجامعات التونسية، بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة خالد ميلاد، دار سيناترا، منشورات المركز الوطني للترجمة، تونس 2010م، سلسلة اللسان، ، ص 21.

12) نفسه، ص 12.

13) ويقصد بها: الإحالة على الأحداثيات الشخصية، والمكانية، والزمانية المتغيرة، بحسب إلقاء القول، ينظر المرجع نفسه، ص 41.

14) النظرية التداولية: المفهوم والتصور، د. رضوان الرقبي، المغرب، موقع أقلام فكرية، صحيفة المثقف الإلكترونية، تاريخ 12 يونيو 2015م1

15) المرجع نفسه.

16) فرانسواز، أرمينكو : المقاربة التداولية ، ترجمة: سعيد علوش، الرباط، مركز الإنماء القومي، 1986م، ص 8.

17) القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، مرجع سابق، ص 30.

18) نفسه، ص 26.

19) نفسه، ص 38.

20) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، (ت:684هـ)، بتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت:1986م، ص89.

21) البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، د. محمد العمري، مكتبة الأدب المغربي، أفريقيا الشرق، ط 3 ، 2012م، ص11.

22) نفسه، ص 11

23) نفسه، ص 30

24) القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، مرجع سابق، ص 11.

25) ينظر البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، تأليف علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف، (د.ت)، ص 194، وينظر أيضًا جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للسيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق . د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص 78، 79، وغيرها من المراجع البلاغية الحديثة.

26) القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، مرجع سابق، ص 54.

27) نفسه، ص 54، (بتصرف).

28) نفسه، ص 55.

29) الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، تأليف الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، المتوفى سنة 739هـ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 2002م، ص109.

30) نفسه، ص11

31) الإيضاح: 111.

32) الإيضاح: 111، قال الله تعالى – على لسان سيدنا سليمان عليه السلام –: " **قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِيَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ** " النمل: 41 – 42، فنلاحظ – هنا – أنه برغم أن العرش هو عرشها الحقيقي؛ إلا أن سيدنا سليمان عليه السلام أمر بتنكيره لاختبار قدرتها على التصور الذهني، الذي ستقوم به عند رؤيتها له، فكان هذا التنكير هو الدافع إلى استدعاء أداة التشبيه (كأنه)؛ ذلك بسبب التشويش الذهني، الذي تسبب في اضطراب التصور، الذي نجم عنه اضطراب الجواب المنطوق من قبلها.

33) الإيضاح:112

34) ينظر الإيضاح: 112
35) نفسه: 113
36) نفسه: 113
37) الإيضاح: 113
38) الإيضاح: 113
39) نفسه: 113 – 114
40) الإيضاح: 115
41) نفسه: 115
42) نفسه: 115
43) الإيضاح: 108– 109
44) نفسه: 109
45) نفسه: 109
46) نفسه: 109
47) (ذلك أن (هل) تمحض المضارع لدلالة الاستقبال، دون الحال، ينظر الإيضاح: 109
48) نفسه: 110
49) الإيضاح: 110
50) الإيضاح: 110
51) ينظر نص القصة في سورة الشعراء، الآيات: 23 – 27
52) الإيضاح: 111.
53) في المسألة نظر، فلا يمكن أن يكون السؤال – مثلًا –: من زيد ؟ ويجاب عنه بـ(زيد)؛ لكن إذا كان السؤال – مثلًا –: من مالك الدار ؟ أو من مؤلف الكتاب ؟ فلا مشكلة في طرحه، ولا في جوابه المدرج في النص.
54) نفسه: 112
55) الإيضاح: 112
56) ينظر الإيضاح: 112
57) الإيضاح: 113
58) نفسه: 115
59) الإيضاح: 115 (بتصرف)